الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي- 1945 قالمة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الآثار

دروس السداسي السادس في مقياس:

الآثار الريفية

عنوان الدرس :**النقـــــل و التسويـــــــق**

إعداد:
د .محمد فوزي معلم

2020/2019

– النقل و التسويق:

كانت الحاويات القديمة التي استعملت في نقل الزيت والخمر عبارة عن ما يسمى بـ: "القربة" (outre)، والتي كانت تصنع أساسا من جلد الماعز، أما إذا تطلب الأمر إنشاء قربة كبيرة فهنا كان يستعمل عدد من جلود الثور المخاطة مع بعضها البعض، فاستعمال الجلود شهدت عليها عدة حضارات قديمة كبلاد الرافدين والحضارة المصرية والإغريقية وحتى الرومانية ، فهي تعتبر من الأدوات الأكثر استعمالا خاصة في النقل البري أو بالنسبة للمسافات القصيرة.

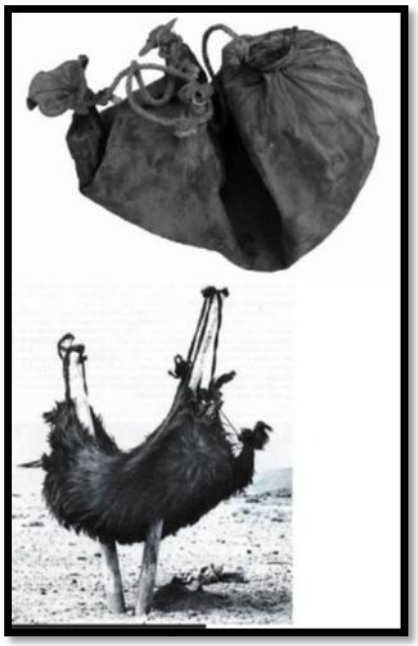

قربة من جلد الماعز

وفي منطقة "آبولي" Apulie الإيطالية في القرن I ق.م. كان يتم نقل الخمور و الزيوت داخل قِرَبْ جلدية من المناطق الداخلية حتى ميناء "بريندس" Brindes بواسطة مجموعة من الحمير، فحسب "فارون" Varron « ففي الكثير من الأحيان ما يوضع فوق ظهر حمار حمل من الزيت أو من الخمر وصولا إلى البحر... ».[1]

وهذا النوع من الجلود الذي كان يستعمل في عملية النقل لم يكن يلق اهتماما كبيرا في البحث الآثري على عكس الأمفورات ، هذا ربما بسبب تلفها وعدم مقاومتها للزمن إلا في بعض الحالات الاستثنائية.

أما الزيت الذي كان يسوّق عبر الموانئ ، فبعد وزنه كان يفرغ في أومفورات لم تكن تستعمل إلا في النقل عبر القوارب، فخلال القرون الثلاث الأولى استعملت هذه الطريقة خاصة من أجل نقل الزيت إلى روما، وهذا ليس معناه بأن الأومفورات لم تكن تستعمل في النقل البري، بل وفي بعض الأحيان كان يتم النقل من خلالها بوضع أمفورتين على الأقل على ظهر حمار أو عن طريق وضع مجموعة من الأمفورات مرة واحدة داخل عربة، فحالة قرطاج كانت جد مميزة ، فالزيت الموجه لدفع الضريبة والذي كان

[1] - **BRUN (J.P.),** op.cit., p.164.; **VARRON,** op.cit., Livre II , 6,4.

يأتي من منطقة "هيبون" Hippone أو عنابة حاليا، كان عن طريق قوارب وداخل أمفورات، في حين أن الذي كان يأتي من المناطق الداخلية كان داخل حاويات من الجلود.

وعلى العموم فإن في مدن البحر الأبيض المتوسط، كانت النسبة الكبيرة من الزيت المنتج محليا يساق عن طريق حاويات من الجلد و كذلك أمفورات، وهذا ما أكده مختلف الأثريون من خلال الشواهد المادية الموجودة خاصة في الأماكن التي كانت تتم من خلالها عملية التسويق.

فهذه الأخيرة شهدت منذ الألفية II ق.م. حركة نقل كبيرة، و في وقت لاحق بكثير في حوالي القرنين VII و VI ق.م. كان زيت الزيتون من المواد الأكثر تصديرا في منطقة "آتيك" Attique باليونان ، أين كان يوضع في أومفورات مزينة في جزءها العلوي بهندسة تشبه عبارة SOS ؛ و لهذا أطلق عليها الأثريون اسم أمفورات SOS.

وخلال الفترة الإمبراطورية أصبحت عدة مناطق معروفة بإنتاجها للزيت خاصة "كمبانيا" Campanie في إيطاليا و "استيريا" Istrie بين "كرواتيا" و "سلوفينيا" و "بيتيكا" Bétique في جنوب إسبانيا و كذلك الكثير من مناطق شمال إفريقيا، مع العلم أن كل من هذه الأخيرة كانت تسوق منتوجها في أومفورات تختلف باختلاف المنطقة.[2]

مسؤولية تزويد روما بالمنتوجات الغذائية الآتية من المغرب، تقع على عاتق حاكم الأنونة و مساعديه في مختلف المكاتب المتواجدة في المدينة .في النصف الثاني من القرن الثاني ظهر نائب حاكم الأنونة، منهم المسمى تيبيريوس كلوديوس كزينوفون (Tiberius Claudius Xenophon) ، الذي كلف في وقت لاحق بالتحري في الأملاك المحجوزة بإفريقيا، و منذ فترة حكم الإمبراطور تراجان كانت هناك وصايا استثنائية منحت للمسمى : تيتيوس فلافيوس ماكر (Titus Flavius Macer) من مدينة قالمة (Calama) و الذي كان حاكما سابقا لقبائل الموزولام.[3]

---

[2] - **BRUN (J.P.),** op.cit., p.165-166.

[3] - **FEVRIER (P.-A.),** Approche du Maghreb Romain, Tome II, p.96.

– التجارة :

لو تحدثنا–في حقيقة الأمر– عن عبارة المبادلات التجارية في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية، فهنا حسب رأيي لم يكن لهذه الكلمة معنى موظف في مكانه الأصلي، كون أن شمال افريقيا كانت من أكبر المدعمين لروما في المجال الاقتصادي و خاصة الزراعي منه، و لا نرى عكس ذلك . وبالتالي يمكن القول بأنه كان هناك في شمال افريقيا تسويق تجاري أكثر منه مبادلات تجارية.

فمثلا في عهد الإمبراطور "نيرون" اتفعت نسبة القمح الإفريقي المشحون إلى روما ارتفاعا هائلا، حيث بلغ (2/3) احتياجات الدولة من القمح، وبما أن الثلث (1/3) الباقي كان يأتي من مصر وأن مقداره ورد في الوثائق بعشرين مليون مد (Modii)، فإننا نستطيع أن نقدر كمية القمح الإفريقي بثلاثين مليون مد روماني، أي ما يزيد عن حوالي مليونين من القنطارات (= 200 ألف طن)، وإن قدره بعضهم بأضعاف هذه الكمية (8400.000 قنطار)، أي ثمانية ملايين و أربع مائة ألف قنطار (= 48.000 طنا)، وهو ثلث الإنتاج الكلي حسب صاحب هذا الرأي، في حين يرى بعض مؤرخي الاقتصاد أن إنتاج بلاد المغرب الخاضعة لروما من القمح بلغ 160 مليون مد روماني.[4]

أ– التجارة الداخلية من خلال الأسواق اليومية (Macellum) و الدورية (Nundinae):

سمح الإنتاج الوافر الذي عرفته شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية خاصة في المجال الفلاحي، بخلق طرق ومسالك جد منظمة ذات علاقة مباشرة مع مختلف مراكز الإنتاج المنتشرة في المناطق الريفية، أين أطلق عليها اسم الطرق التجارية، و ذلك لا لشيء إلا لغرض تسويقها.

ففي المدن لم تكن المبادلات التجارية بالصعبة، حيث أننا نعرف بما فيه الكفاية عن دور الأسواق في الحياة الإجتماعية، وذلك لفهم الإعتبار الذي كان في نظر الأفارقة، فالأسواق الرومانية لم تكن تختلف عن ما يعرف بالسوق في الأرياف و المدن الذي تشهده أيامنا هذه.

ومن جملة الأسواق المدنية المهمة التي عرفتها شمال إفريقيا بصفة عامة و الجزائر خاصة هو سوق جميلة المعروف باسم "كوزينيوس" (Cosinius) وهو ذو رواق تتوسطه ساحة مبلطة مع عدد من الدكاكين خاصة بمختلف التجار.[5] بالإضافة إلى عدد معتبر من الأسواق "كسوق سارسيوس" بتيمقاد وسوق مادور و تيبيليس...

---

[4]– **شنيتي (م.ب.)**، نوميديا و روما الإمبراطورية .ص.111.

[5] - **CAMPS-FABRER (H.),**L'olivier et l'huile dans l'Afrique., p.68.

أمّا فيما يخص مفترقات الطرق الرئيسية المنجزة من طرف الرومان و المستعملة خاصة لغرض نقل المنتوجات الفلاحية نسجل خاصة مناطق "الجم" (Thysdrus) في ما يخص أسواق الحبوب والزيت والخرفان، و"باجة" (Vaga) و "حمام دراجي" (Bulla regia) و "مكتر" (Mactaris) التي تعتبر كعواصم للقمح، و"تبرسق" (Téboursouk) و"دقة" (Thugga) جزء من الزيتون، و"سوق أهراس" (Thagaste) و"قالمة" (Calama) في أسواق الماشية، و"تبسة" (Theveste) و"سبيطلة" (Sufetula) كمراكز أعمال، وهذا من خلال المعالم المحفوظة والتي تشيد بالأهمية الكبيرة التي كانت تحظى بها. "تيمقاد" (Thamugadi) و"تازولت" (Lambese)، أين مازال السوق الحالي لباتنة مرتبط بهما. أما "سطيف" (Sitifis) و"سوق الغزلان" (Auzia) أو "أومال" (Aumale) كانتا في الفترة الفرنسية مدينتين اقتصاديتين بالنسبة لوسط الجزائر.

ولكن لا تتحكم الأسواق الجهوية كليا بشبكة الطرق، فعدد كبير من مناطق التبادل الاقتصادي يبقي محلي في أسواق ريفية مثل ما هو معروف في الوقت الحالي في الجزائر و تونس. فهذا النوع من الأسواق هو ما يطلق عليها اسم "النونديناي" (Nundinae)، هذه الأخيرة منه ما يشير بأنها كانت أسبوعية (مرة كل ثمانية أيام حسب التقويم الروماني)، ومنه ما يشير بأنها كانت نصف شهرية ، أين تستقطب بنسبة كبيرة الريفيين القاطنين في الضواحي، بالإضافة إلى بعض النبلاء ، أين كانت تقام بترخيص إداري من طرف كبار الملاك للعقارات، والتي يمكن أن تصبح مع مرور الوقت مراكز تجارية مهمة،[6] بعدما كانت عبارة عن ما يشبه المعارض الريفية،[7] وهي موصولة بطبيعة الحال بطرقات مهيئة إن صح التعبير، وبفضل الإبيغرافيا اللاتينية استطعنا التعرف على البعض من هذه الأسواق التي أنشأت ابتداء من سنة 138 للميلاد من طرف شخص في عقاره الكبير في منطقة "كازا بيقانسيس" (Casa Beguenses) شمال غرب "سبيطلة" (C.I.L., VIII, 11451)[8] ومالك السالتوس كان يدعى "لوسيوس آفريكانوس" (Lucius Africanus) و هو عضو مجلس الشيوخ ، وكان عليه قبل إنشاء سوقه أن يتحصل على رخصة من طرف مجلس الشيوخ الذي استغل في هذا علاقاته مع زملائه،[9] بالإضافة إلى "فيكوس فوسفوري" (Vicus Phosphori) شرق "سيقوس"، و"عين مشيرة" (C.I.L., VIII, 8280)، و"عين الكرمة" (Nundinae Emadaucapenses) ، وعلى الطريق الرابط بين سيرتا و عين زادة (Diana Veteranorum) في المكان

---

6 - **SALAMA (Pr.),** Les voies Romaines de l'Afrique du nord, p.47. **CHOUALI (M.),** Les Nundinae dans les grands domaines..., Ant.Afr. 38-39, 2002-2003, p.380.

7 - **PICARD (G.-Ch.),** La civilisation de l'Afrique Romaine., p.83.

8 - **SALAMA (Pr.),** op.cit., p.47.

9 - **CHOUALI (M.),** op.cit., p.378

المسمى "بأم السكاك" (Vanisnes). أما سكان "بني زياد" (Castellum Mastarens) (C.I.L., VIII, 6357) و"تيديس" (Castellum Tidditanorum) فقد كانا متفقين على برمجة سوقيهما بيوم فاصل،[10] فالنونديناي تواجد أيضا في المركز الفلاحي (لم تحدد طبيعته بعد) في منطقة "حسناوة" ببرج بوعريريج (C.I.L., VIII, 20627) وكذلك في المركز الحدودي "زراي" (Zarai) (C.I.L., VIII, 4508 et 18643).[11]

وجدت كتابة في المقاطعة النوميدية و تحديدا في منطقة "سكيكدة" (Rusicade)، تتحدث عن مخازن للحبوب تم بناءها في فترة "فالونتينيان" (Valentinien) و"فالونس" (Valens) «ad securitatem populi romani pariter atque provincialium». وحسب "فابرير كامبس" وبعد حوار حول هذه الكتابة المراد معرفة من وراءها إلى أي نوع من المخلفات كانت موجهة، هل كانت مخازن للحبوب (Horrea) أم خزانات للمياه؟ وحسبها دائما بعد قرائتها للكتابة، فقد مالت أكثر إلى الفكرة الأولى، كون أن مخازن الحبوب وحدها تضمن أمن الشعب الروماني و في نفس الوقت سكان المقاطعات. كما أن مخازن "جميلة" (Cuicul) مازالوا في حالة حسنة من الحفظ.[12]

وحسب بيكارد فالتجارة الداخلية لا تجني فوائدا بقدر تلك الناتجة عن عملية التصدير.[13]

ب- التجارة الخارجية:

عرفت التجارة الخارجية في شمال إفريقيا نشاطا منذ مدّة قديمة تسبق الدخول الروماني، فهناك معلومات قام بجلبها "تيت ليف" Tite-live حول تموين ماسينيسا للجيشين الروماني و الإغريقي بالقمح والشعير كما سبق و ذكرنا. وعلى العموم فالكميات المسلمة للرومان كانت كالآتي:

- سنة 200 ق.م.: 14000 قنطار من القمح و 10500 قنطار من الشعير
- سنة 198 ق.م.: 14000 قنطار من القمح.
- سنة 191 ق.م.: 56000 قنطار من القمح و 28900 قنطار من الشعير.
- سنة 170 ق.م.: 70000 قنطار من القمح.[14]

أما الزيت الإفريقي فقد أصبح عنصرا للتسويق نحو إيطاليا منذ نهاية الفترة الجمهورية، وهذا ما لاحظناه تحت حكم يوليوس قيصر، حيث كانت المقاطعة الطرابلسية حينها من أكثر المناطق المزودة للرومان بهذه المادة، هذه الأخيرة كانت تباع للشعب من طرف الدولة. ففي سنة 74 ق.م. قام حاكم

---

[10] - **SALAMA (Pr.),** op.cit., p.47.
[11] - **PAVIS D'ESCURAC (H.),** Nundinae et vie rurale dans l'Afrique du nord Romaine, B.C.T.H. 1981. p.251.
[12] - **CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.70.
[13] - **PICARD (G.-Ch.),** op.cit., p.83.
[14] - **CAMPS (G.),** Aux origine de la berberie, Massinissa …. .. P.200.

(édile) ببيع الزيت في كامل أيام السنة بسعر "آس" (As) لكل 10 ليترات. أما أباطرة القرنين الثاني والثالث ميلادي فقد كانوا يوزعونه بنفس قيمة الخبز.[15]

فسياسة روما عندما اتخذت قرارا بضم إفريقيا لها، كان ذلك متزامنا مع ضعفها اقتصاديا خاصة من الجانب الزراعي، و نظرا لفائض الإنتاج الذي عرفته خاصة المقاطعات التابعة لها، توجب عليها الإهتمام بوسائل النقل لضمان وصول المنتوج بسرعة إلى المواني، فكان بذلك وجوب الإلتزام ببرنامج لتهيئة شبكة من الطرقات الضرورية باعتبارها تشكل جزءا من الأهداف الاقتصادية بالنسبة للرومان.[16]

إذ أحدث حكم الإمبراطور "نيرون" Néron، في فترة حكمه تغييرا جذريا في مساهمة إفريقيا في إطعام روما،[17] أين كانت الممول الأول للعاصمة الأم بالمواد الغذائية الخاضعة للأنونة،[18] أما الإمبراطور "ماركوس أوريليوس" (Marc- Aurèle) فقد كلف أثناء فترته موظف سامي في الأنونة بإحصاء الزيت الإفريقي كما لا يخفى علينا بأن حاكم الأنونة الإفريقي تابع مباشرة إلى قائد الحرس الإمبراطوري بإيطاليا من دون أن يمر عبر البروقنصل أو وكيل إفريقيا، حيث أنه مكلف بجمع الضرائب ثم نقلها إلى روما و ذلك تحت أوامره الموجهة خاصة إلى المحاسبين (Tabularii) الذين يسجلون الأغذية الموجهة إلى روما.

نموذج من التسويق البحري للمنتوجات الفلاحية
(متحف آرل –فرنسا –)

أما العاملين في السفن فقد أصبحوا فورا مساعدين لمحافظ الأنونة و خدماتهم أصبحت إلزامية، فمعناه أنها وظيفة لشحن حمولة شخصية فوق ممتلكاتهم، كما أنه كان إجباريا إنشاء سفنهم بثروتهم الخاصة و ذلك وفق مقاييس تفرض من طرف الدولة، مع وجوب توظيف كل الطاقم.[19]

---

[15] - **CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.72.
[16] - **SALAMA (P.),** op.cit.p.42.
[17] - **JAIDI (H.),** l'Afrique et le blé de Rome au IV ème et V ème siècle,. p.22.
[18] - **PICARD (G.-Ch.),** op.cit., p.79.
[19] - **CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.74.

إن إفريقيا برمتها كانت مجهزة بعدد كبير من الموانيء، وإن قام "سالوست" بوصف الشواطيء الإفريقية بأنها لا تليق بالموانئ، في حين أن الرومان جعلوها تكسب شهرة كبيرة، وكان في هذه الفترة الأخذ بعين الإعتبار أوقات الملاحة والأخطار التي يمكن أن تواجههم، حيث كانت السفن تعرف حركة دؤوبة عموما في فصل الربيع، و في سنة 350 للميلاد أصدر قانون في إفريقيا يخص العاملين في المجال البحري، أين يحدد بداية أفريل كتاريخ لبداية النقل البحري إلى غاية شهر نوفمبر، وبالتالي فالملاحة كانت تقتصر إلا على الظروف الحسنة للمناخ.[20]

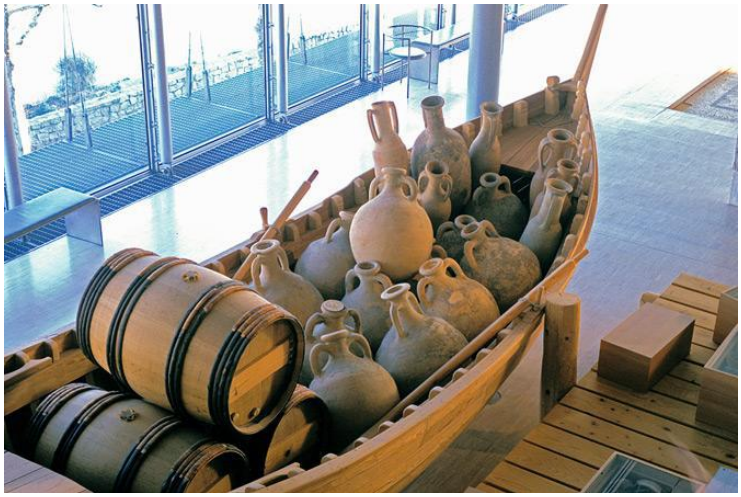

نموذج عملية التسويق البحري
باستعمال الأمفورات

نموذج عملية التسويق البحري
باستعمال الدوليا

[20] - **Ibid.**, p.77.